القريض في فن التمثيل

Coup d'œil critique d'un récent opéra arabe.

نظرة تحليلية انتقادية في « مصرع كليوباترا »

— تتمة —

اراد المؤلف وابدع ان يصور في انطوان ، حمية الروماني ، وقد فقد اعز مالديه في الوجود اذ اضاع شرف القائد في هزيمته الشائنة ، ووجد روما الهته ومعشوقته تحاربه باسم اكتافيوس . فابى عليه اباؤه الضيم ، ذلك الاباء الروماني الشهم وتناوشه خبر انتحار كليوباترا الكاذب (الذي يظهر لنا خدعة من كليوباترا نفسها حين ارادت به تحطيمه كي لاينازعها وهو المقهور فيما تؤمل نيله من اشراكها للظافر العظيم) وسما اذ تلمس كلوما دامية في فؤاد اليائس وما اهول ما يكون المرء آلاما وشجنا ومصابا حين تدهمه الحقيقة القاسية وجها بوجه وتهتك استار احلامه ، فيرى نفسه شريدا طريدا منفيا مقصى عن بلاده فتفيق دواميه ، وتنهل مدامعه ، فهو بائس حزين ! وتقفى الشاعر هذا المنوال في اظهار وله القيصر المنكود الطريد بسالبة لبه ورشاده فغدق عليه ابياتا متموجة واشاده :

صفحا كلوباترا ! فربت زلة ... قد كنت تغتفرين حين اراك !
لما لقيتك في الجمال وعزه ... قهرت قواي الظافرات قواك
فنسيت في واديك ذكر وقائعي ... وسلوت ايامي بيوم لقاك
سجدت لاعلامي الصوارم والقنا ... وابن مهند لحظك الفتاك
قدت الجحافل والبوارج قادرا ... مالي ضعفت ؟ فقادني جفناك !
اخرجت امري واختياري من يدي ... وتركتني نفسا بغير ملاك
خلت السلامة في نواك فذقتها ... فاذا الكوارث كلهن نواك ! !

ابدع تنسيقا وتفننا في حين ازدرى انطوان اي ازدراء واهانه بل اراد نزله ، حين الصق به ، في هذه الابيات « خروج امره واختياره من يده » ثم حاول ان يثبت عصيانه روما ، في حين انه لم يعصها ، وانما خلافه لاكتافيس ، وارث يوليوس قيصر هو الذي جر عليه هذه المشاكل ، وكفى ان خصمه اكتافيس

لم يسعه سوى ندبه حين بلغه خبر انتحاره . وأبن فيه « حليفه ورفيقه في الامبراطورية ، الذي طالما تحمل معه المشاهد والمعارك » وذلك حين عرض على جميع القواد رسائل انطوان « المملوءة حماسة وحميا » نعم ، انه اتبع كليوباترا في كثير من آمالها وأمانيها ، وخضع لاشارتها في محاربة قيصر على اثباج البحر . وهذا لا ينفي حبه لبلاده ووطنه ولو تركنا التاريخ جانبا وبحثنا منطقيا ، لما ارتضينا بما اجترأه المؤلف بل لحكمنا — لو صح هذا المدعى — بانفضاض قواده عنه حينئذ ولربما الحقوه بيدهم واثابوه مآل يوليوس . ولسنا نخال شوقيا يندفع في تبرئة صفحة كليوباترة من حيلتها في هذا الارشاد المضل « لانها فكرت في الهرب ، بعد ان بذلت كل شيء من جهتها ليس لتزكية النصر وانما لتضمن الانهزام السهل ، حين تنضب الحيل » وان اخذ علينا استاذنا لبلوتارك ، وادعى ذبذبة المؤرخ واحتكامه للقوة في تأريخه . فهل يدفعنا هذا القدر الى اقامة التأريخ على اسس الحدس والتخمين ، او على مشيئة الاميال الوطنية كما نراه في ذيل روايته في « النظرات التحليلية » ؟

تفنن شوقي وقد وقف كليوباترا على باب اليأس تسعى الى تبابها حثيثا فارانا منها صورة امرأة ، جميلة فتانة ، عاكسها القدر فاخفق حيلها وحاصرها فكسر قناتها وكأن الزمان ابى إلا استرداد ما غدقه عليها من نعم واطايب او لعله طلب الانتقام منها ، لانها استعملت رخاءه عليها ، في انتهاج الشر والخطايا . وقد اصاب الشاعر حين وصفها ، في حين لم يرد :

... انثى افنت العمر بالهوى بهيمة اللذات والشهوات!

واجاد في تصوير حاسيات المرأة الفخور بجمالها ، وضرب على عود الضعف وانك لتشعر بموجات الغضاضة والالم ، تجتاح عواطف كليوباترا وهي تحاول اجتياز مضيق الابدية ، وقد جثت امام تمثال ايزيس وافلتت التأوهات :

اليوم اقصر باطلي وضلالي وخلت كأحلام الكرى آمالي
وصحوت من لعب الحياة ولهوها فوجدت للدنيا خمار زوال !
وتلفتت عيني فلا بموا كبي بصرت ولا بكتائبي ورجالي
وطئت بساطي الحادثات واهرقت كأس وفضت سامري ونقالي

ايزيس ! ينبوع الحنان تعطفي وتلفتي لضراعتي وسؤالي
انت التي بكت الاحبة واشتكت قبل الارامل لوعة الارمال
اني وقعت على رحابك فارحمي ذل الملوك لجدك المتعالي
هل تأذنين بان اعجل نقلتي واحث عن دار الشقاء رحالي
وعلاك ما ادع الحياة جبانة او ضيق ذرع او قطيعة قال
اني انتفعت بعبقري جمالها وتمتعت من عبقري جمالي

❀❀❀

بنت الحياة انا وتشهد سيرتي ما كنت من امي سوى تمثال
منها تناولت الرياء وراثة واخذت كل خديعة ومحال
وقسوت قسوتها ولنت كلينها واقتست في صدي لها ووصالي
ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فاغوتني وضل ضلالي

ولمس تلك الاوتار الهائجة في قلب المرأة الغاوية . وهي تحاول ان تنتزع روحها بيدها باختيارها . فتفقد بها تيهها وجمالها وهي ميزتها على اترابها في مشاركتها للرجال ، فارسل صرخاتها الاليمة للموت ، تستعطفه للرفق بروائها وبهائها ، وتستدر اعطافه ، واكد لنا بلوتارك ، انها اختبرت فعل جميع اصناف السموم القاتلة ، وجربت لدغات الافاعي السامة ، في اناس كثار امامها ، كي تعلم اي القواتل ارحم لجمالها الفاتن واخف ايلاما وارأف لانوثتها البضة . وبعد عدة تجارب يومية « اكتشفت ان لدغة الصل ، هي الوحيدة التي دون تشنج ولا تمزيق ، تبعث الخمود والكرى يتاوهما خضل في الملامح ، فوهن متتابع في الحواس ، يقود الى ميتة هادئة ، وان الملدوغين به يشبهون الغرقى في نوم عميق وقد ازعجوا إذ اريد افاقتهم ونهوضهم » :

ياموت ! لاتطفئ بشاشة هيكلي واحفظ ظواهر لمحتي وجلالي
ياموت ! طف بالروح واسرقها كما سرق الكرى عين الخلي السالي
حتى اموت كما حييت كأنني بيت الجمال ودمية المثال
وكأن اغماض الجفون تناعس وكأن رقدتي اضطجاع دلال !
سر بي الى انطونيو في نضرتي ورواء جلبابي وزينة حالي !..

لقد ارادت ان يكون «اغماض الجفون تناعسا» ولاغرو فبين الردى والنوم نسبة وقربى . ولم ترد ان يمحى اثر جلال جمالها في كل حين حتى حين امعان روحها في اللانهاية . انتحرت كليوباترا حين رأت ان حيلتها لم تعبر على اكتافيوس . فانها تخيلت اسره بقوائل لحظها . كما اسرت قبلا قيصر الرومان فرأت من ازدرائه لجمالها ما آلمها واغضبها ثم سنح لها مكرها ودهاؤها ففغمت تحايله عليها في شروطه . فحذرت ان عقباها قد تكون كعاقبة المدعية سلالتها زنوبيا مع اورليان . فتقاد الى روما مكرمة ذليلة . وتكون هـذا لزهو انتصار اكتافيوس . وكيف ترضى وهي «بنت الحياة» وقد تعلمت منها المراوغة والرياء ان يلاقيها هذا الشنار . فاهتفها شوقي في مواقع عـدة صرخات قد لا نشك في انها مرت بخاطرها في دقيقتها الاخيرة :

يا موت! أنت احب اسرا فاسبني ... لا تعط روما والشيوخ عقالي !

سطت روما على ملكي واصت ... جواهر اسرتي وحلي آلي
أأدخل في ثياب الذل روما ؟ ... واعرض كالسبي على الرجال ؟
واحـدج بالشماتة عن يميني ... ويعرض لي التهكم عن شمالي ؟
والقى في النـدي شيوخ روما ... مكان التاج من فرقي خالي ؟
واغشى السجن تاركة ورائي ... قصور العز والترف الحوالي ؟(١)
وتحكم في روما وهي خصمي ... وتسرف في العقوبة والنكال ؟
يراني في الحبـائل مترفوها ... وقد كان القياصر في حبالي !

يحـاول قيصر مني المحـا ... ل وينهب في غير وجه الطلب
يريد ليعرضني في غـد ... على شعب روما كأني سلب
ويفضح روما وسـلطـانها ... وتاج العصور وعرش الحقب!

ويعيد شوقي مزية الجندي الروماني لانطوان بعد ان حاول افقاده اياها ، في

١) كان من البيان والمنطق ، ان تقدم الغرف على القصور ، لانها تعني ترك الغرف التي في القصور ، وهي زلة كان على شوقي ان يتدبرها ... ولكل جواد كبوة
(ل . ع) من محاسن العربية ان الواو لا تقتضي الترتيب بل الجمع المطلق فلا محل للانتقاد .

هذه الابيات الرائعة :

اسر؟ وهمت كلوباترا! اتظفر بي ... ايدي الكماة وفي كفي اظفار؟
لو قلت قتل ، لكان القتل اشبه بي ... كأس المنايا على الابطال دوار !
الحرب تعلم والايام تشهد لي ... اني شديد على الاقران جبار !
لو كنت شاهدتي والحرب جارفة ... والصف تحتي بعد الصف ينهار
قد جن تحتي جوادي فهو عاصفة ... وجن نصلي بكفي فهو اعصار
رأيت حملة صدق غير كاذبة ... لا السيل يحملها يوما ولا النار
لما صدمت جناحيهم وقلبهمو ... عن الخيام وعن اوكارهم طاروا

ولكننا نأخذ عليه ما اعتدنا صدوره في شعره . فقد استقى بعض افكاره من معين آخر ، حين يتناول في البيت الثالث مثلا روح المتنبي في بيته الشهير كما تتسيطر في الابيات الاخرى روح عنترة التي تكاد تفصح عن نفسها باجلى دليل لدى ذكر المواقع . ثم انه يذهب في البيت الاول الى تورية بائرة . وتلميح عقيم ممقوت ، فيكني عن الاسلحة بالاظفار ، وفي البيت الاخير بالاوكار عن اللاجىء ، وهو شيء غير خليق بروح العصر ، بل بروح هذه الفاجعة الفذة في حين انه ابدع في تشبيه جنون جواده بالعاصفة القالعة « وجنون » نصله بالاعصار الذي لا يبقي ولا يذر ، وهذا ما يتخيله المرء من باب المجاز ، ويكاد يحسبه واقعيا حين يشهده في موقعة وان تفننه وبلاغته في جميع هذه الخواطر مثراصة متعانقة بعضها لبعض ليغفر له القصور والزلل فيها . ولكن ها ان الروح البدوية تعاوده ولا تزال تنتفض في الابيات التالية على قدر زهيد في حماسة وافتنان :

ذريني اعبىء للقتال كتائبي ... فلي في غد شأنان في البر والبحر
ذريني اهيء للاحاديث في غد ... فان غدا يوم سيبقى على الدهر
ذريني ازد تاجيك غار وقائمي ... واقرن بثعباني جدائلهما تسري
ولست اخاف الدارعين وانما ... اخاف فجاءات الخيانة والغدر
وليس كمين الحرب ما انا هائب ... ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدر!

ويأخذ اليأس انطوان على اثر ايحاء كليوباترا بموتها فيعمد الى الانتحار فينادي

خادمه الوفي ايروس « الذي وعده ان يجهز عليه حين يأمره » ولكن هـذا العبد الشهم يقتل نفسه فداء سيده ومليكه فيثني عليه انطوان في حرقة وهو ما ينقله الشاعر تقريبا عن بلوتارك :

اوروس عفوا ! قد ذهبت ضحية وجنى عليك ترددي الممقوت
فعلمت مني كيف يجبن قيصر وعلمت منك العبد كيف يموت

وقس على ذلك سائر مجاول هذه الفاجعة الشعرية مما يخفق ظنك ان تراها موسومة بطابع شوقي المعروف لدينا ولا اكتمك انها ابانت لنا من خلالها شخصية وصفات اخريات لم ما كنا نشعر بها لولاها وهاك هـذه الابيات تستطلعها :

انوبيس :

زعمت ابنتي الموت شخصا يحس وعظمت من خطبه ما صغر
وما هو إلا انطفاء الحيا ة وعصف الردى بسراج العمر
وليس له صورة في العيو ن على قبح صورته في الفكر
اذا جاء كان بغيض الوجو ه وان جيء كان حبيب الصور

كليوباترا :

اذن هذه الرقط في ذمتي فصنها واحسن عليها السهر
واقسم لتأت الي بهن ولو ان دوني الظبا والسمر

انوبيس :

يمينا بازيس احملهن اليك ولو في سلال الخضر !
اذا بت في خطر تاج مصر سبقت اليك بهن الخطر

واذا انت تطلب مثالا اخر لتهدئ من ثائرتك وتصدر حكمك فتشاركني ام تناقضني — واني لاخالك في جانبي تهللها — لا اتباطأ ان امدك بشيء واهديك اليه فلست اود الاستئثار بالحكم والانفراد بعواقبه فها كه من محاورة انطوان:

انطوان :

ردي على هامتي الفار الذي سلبت فضلة منك تعلوها هي الغار

كليوباترا :

اليوم تعلم روما ان ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار
واليوم تعلم روما ان فارسها جيش بمفرده في الروع جرار
انطونيو سيدي هل نحن في حلم؟ اسالم انت؟ لا اسر ولا عار؟

وهاك ايضا ابياتا اخر :

حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها للحب اجنحة بهن يطار
ويقال بل اخذته تحت شراعها ونجا به فلك لها مضمار
تجري الرياح بما تشاء قلوعه ويسير في طاعاته التيار
ويقال غضبان عليها عاتب ويقال بل حنق الفؤاد مثار
وعلى صفاء العاشقين سحابة وعلى سلام الصاحبين غبار
آلى واقسم لا يرى في قصرها حتى يقوم مجده المنهار
ان البلاء اجل من ألا يرى

ديون : عجب اتخفى في الهشيم النار ؟

حابي :

انطونيو منا باقرب ثكنة يدعو من الرومان من يختار
ويعد اهبته ليوم حاسم في البر يغسل عنه فيه العار
ويكون ميدان الرحى ومدارها تلك التلال وهذه الاسوار
فهناك خاتمة الصراع وموقف اما الدمار به واما الغار !

ولا اكتمك ان اظهر شيء في مجال القصة وصف شاعرية الخود المتدلهة الحسناء اذ تفتكر في قرب المنية العابسة وزوال الترف والنعيم والدلال وتيقنها بملك الابدية ناشرا جناحيه مرنقا فوقها فجزعها كالوالهة الثكلى على حسنها الرطيب ان تمتد له يد السوء القاسية ... ويسمو شوقي حين يصرخ كليوباترا في جزعها واضطرابها مستجيرة بالموت ان يرحم غضارة جسدها ويبقى على

... نضرتها ورداء جلبابها وزينة حالها

بل ذهب الى ما فوق ذلك حين طلبت ان تكون

... رقدتها اضطجاع دلال !

فنحن اذن نستشف خلو الابيات من التصنع والتكلف والتجمل التي تفسد عليه روائع ديوانه وتكشف لنا روحا جديدا له ، نود من كل فؤادنا ان تلازمه في اشعاره ، فتظل ظاهرة فتانة كما عهدناها هنا ، وتنقشع تلك السحابة القاتمة التي عرفناها تمكر جو سمائه وبذا نستطلع قليلا ضياء شمسه . ولا تنكر ان هذه الفاجعة المبتكرة اعجبتنا بما حوت من اتقان وابداع وسلاسة وقد زادها حسنا ورواء انه لم يتقف فيها قافية واحدة ولا لزم بحرا واحدا بل ذهب الى ابدال القوافي والبحور على مدار القصة بل ذهب الى اكثر من ذلك الى ابدالها ايضا في معرض ترسل اكثر الاشخاص . فاظلها طلاوة وروعة ودفع بالاملال الذي كان سيراوحها حتما ، وهذا المبتغى والطلب في الروايات التمثيلية الفنية البديعة .

❀❀❀

والآن لنقف الاسترسال عند هذا الحد من بحثنا في روائع الرواية ولنعرض بالفحص هنيهة بعض مسائل « النظرات التحليلية » او بالحري لما اراد من صبه من تاريخيات في ذيل القصة . فان الفاجعة اولا من حيث هي قصة تمثيلية شعرية لا يراد بها سوى تدوين حادث ، واعادة ذكرى ملحمة عظيمة توجت على ديار مصر نيفا وعشرين عاما واسرت ببهائها وروعة جمالها ملوك وامراء العالم المتمدن . وعاصرت اعظم عظماء الرومان لخليفة بكل مدح وثناء . ثانيا :- من حيث جودة تنسيقها ووقائعها وفصولها لا تقل قيمة في عرفنا عن كثير من الروايات الغربية العصرية . اما من حيث شعرها وتعابيرها فقد ارسلنا سلفا قولنا الفصل فيها ... انما من حيث هي رواية تاريخية ، وهنا نقطة الضعف ، يراد بها محض دعم حوادث « تاريخية » وتأييد نظرات وطنية وخواطر تاريخية فمن العبث القول انها على صواب ، وكفانا تأييدا لنظريتنا ان نلقي نظرة عجلى على « النظرات التحليلية » - او بالاحرى التخيلية - فنجد قضايا توهمية عدة لم يرد بها الحشو فحسب لتلطيف الرواية واذكائها وسد فجوات عسيرة مما يجعلها امام جمهور النظارة والقراء . وانما ابتغيت لتأييد ظنون تأريخية شيدت على الحدس والتخمين وعصفت بها الحاسة الوطنية المضللة فاخفقت مسعى وبينة ،

ونكتفي بايراد وتفنيد اخطرها . اذ ليس من التعقل والتبصر ان نقنع ونذعن ازاء امور تخالف عقيدتنا او بالاحرى تناحر فن التاريخ ووقائعه الفاصلة فليس من حياء في الدفاع . كما ان لا حياء في الدين !

ان اول ما ينالك من صدمات عنيفة لدى اطلاعك على «النظرات التحليلية» ولع شوقي باثبات «مصرية» كليوباترا وتوطيدها ، زعما ان قضاء ثلثة قرون في مصر قد احال دماءها اليونانية الى مصرية بحتة . عن طريق التزوج فهذه لاتدعمها وثائق تاريخية . والتباني بعائلتها شهود بحقنا . وعنه ينتج لا مراء حفظ كثير من الدم النقي المقدوني في اقنية العائلة . ولنا بها ذاتها برهان بين . ألم يكن الشرط « ان تبني باخيها الاكبر وتتولى العرش معه» ؟ فهي اذن متمصرة لا مصرية . واننا لا ننكر قط نقاءها من دم مصري . بل نعترف لها به بكل خضوع وتواضع . ولكن ادعاء بحوتته يقضنا ويضحكنا معا فمهما حاول ودافع صاحب المصرع في تأييد فكرته عن طريق البلاغة والفصاحة فلن يفلح فيه . فلا التاريخ لهو لاه ، ولا تبع مشيئة كاتب ، ولا رهن ارادة شاعر يستهان به تبذيرا وما هو سوى ما ابرمته الحوادث وخلقته الايام لا ما اريد وقوعه وقد سبرت اجيال ... وان شوقي ليدعي في هذا المكان كادعاء بعض عجاف العقول من السوريين واللبنانيين ، اعتباطا وجهلا ، وتشبثهم بالعروبة — وما هم منها على كثير — وهذا فحش وشطط مروع من جهتهم . فالسوريون بوجه الاجمال ، واللبنانيون منهم على وجه اخص — وان يكونوا باجمعهم حقيقة خليط امم كثيرة — من انقى الشعوب التي خالطت العرب ، وعاشرتها من دمائها . فالادلة تؤيدنا والتاريخ يثبتنا . وان نقر باحتمال وجود بعض قطرات تافهة في بعض الاسر من ابناء الاقطار الشامية مما لا يؤبه له في التاريخ وفي الحكم العام فالسوري شيء بمدنيته ومزاجه واصله . والعربي شيء آخر بمدنيته ومزاجه واصله . وكذلك الروماني امر والمصري أمر آخر . فشتان ما بين ثقافة كل وشتان مابين مدنية كل ، وشتان ما بين مزاج كل ، وشتان ما بين عادات كل ، وشتان مابين منهل كل!!! فيا شاعرنا لا تحاول بل لا تؤمل ان تخلق كليوباترا جديدة «مصرية» من كليوباتراه المقدونية» الاصل «الاغريقية» تهذيبا ونشأة بان

عيشها تحت سماء مصر وحسبك قناعة بتمصرها ، مما يقرك عليه كل عاقل اريب فالقناعة رأس الفضائل ... وما ابداعك وتحليقك الخيالي بعذيرك !

وقد يفجؤك ايضا ، فيريد اغرارك بعفة كليوباترا . ولا اخالك تفوتك تلك المتناقضات والتذبذبات في حكمه عليها أثناء وقت الفاجعة ذاتها او ما كفاه ان امر على شفتيها اقرارا رهيبا ، في ساعة انتحارها :

بنت الحياة انا وتشهد سيرتي ما كنت من امي سوى تمثال
منها تناولت الرياء وراثة واخذت كل خديعة ومحال
وقسوت قسوتها ولنت كلينها واقتست في صدى لها ووصالي
ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فاغوتني وضل ضلالي
ووجدتها حبا يفيض ولذة فجعلت لذات الهوى اشغالي

اما في هذه اثبات « منه » لما حاول نكرانه وجحوده ؟ اما فيه البرهان الحسي الذي لا يطرد على اضطراره لابرازه بتمثالها الحقيقي ؟ وكيف يسعنا ان نسالك وهذه سيرتها تقابلنا كما درسناها في المدرسة ، وكما الفناها وعرفناها في التاريخ الجدي ... وهات امرأة تتسكع وتتخبط في كل حين من ذراعي رجل الى ذراعي آخر ، ولم تترك لشهواتها ولذاتها البهيمية منزعا ، فتصفها بملك طهر وعفاف !... اذن ماذا نقول عن هاته النسوة اللاتي يقضين الحياة في خدمة الله والقريب ويضحين بالغالي والنفيس حبا لمرضاته تعالى ولا يعرفن رجلا طول عمرهن ؟ بل ما ذا نقول عن امرأة ذات بعل لم تحد قط عن جادة الصواب قيد شعرة ولم تعرف سواه ؟ فهل من سبيل لمضاهاتهن لتلك البغي العاهر وتسويتهن معا في مرتبة الشرف والعفة . ألا والله ما ذا نحن فارقون ؟ وما الميزة اذن يا صديقي ، بين حياة قصف وخلاعة وحياة تقشف وورع واستقامة اذا كان مآل الحكم واحدا والنظرية سواء والاعتبار متجانسا؟ افتنا ايها القارئ امنطقيا أ ادبيا ، أ انسانيا قضية تحليل عفتها ؟ سيرتها المخجلة واضحة . العفة والوقار لم تعرفهما ، بل تنقلت من عناق رجل الى سواه . والحق نقول ان لو تمكن جمالها ايضا من اسر اكتافيوس — لتغير وجه التاريخ بكماله — ولعادت تلك الرقطاء باجمعها تسعى الى غرورها وزهوها وفتنتها وفجورها وعهرها كعبدتها

واسدلت الف الف ستار على انطوان التعس ، كما اسدلتها من قبل على يوليوس قيصر وسواهما . وكما امر المؤلف على شفة اكتافيوس :

لعبت بانطونيو ويوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحر

ولكن قيصر لم يكن بالغر الابله ، فارادها شارة لنصره ، لا متاعا للشهوات الدنيئة ، واحست اللبوءة بنزعته ، فحملها كبرياؤها وحبها لعرشها المزلزل على الانتحار ... فعلى شاعرنا ان حاول تبرئتها من عار فجورها ، فالتاريخ لن يخدع نفسه ، وقد لفظ صاعقة حكمه ، واثبته وسيثبته على المدى قاسيا مرا ، يدعمه باقوى حجة دامغة هي : سيرتها المتهتكة !

وينهب شاعرنا الى تبرير فرارها من المعركة كل منهب ويحاول جعله بمثابة حياد ، مكتتمة مقاصده ، وذلك زعما بكرها الى الميدان ، وقد نهكت اكتافيوس ، فتضربه الضربة القاضية ، ولكن اين هي ؟ ضاعت المعركة وهي ساكنة كأن لم يلفها خبر ؟ أليس في هذا عار وشنار ؟ .. ويريد ايضا الدفاع عنها ، في انها لم ترسل الخبر القاتل الى انطوان بانتحارها ... ولماذا ؟.. ولماذا لا تستحل كليوباترا هـذا المسعى ، كما استحلت من قبل مآتيها المخجلة الفظيعة مع سواه ؟ وهل لعاهر اي رادع خلقي يصدها عن الشائنات ؟.. وان اراد افحامنا ببكائها وعويلها على ضريح انطوان ، فلانها علمت ، كما اشرنا ، انها فقهت معنى شروط مصلح قيصر . فوازنت بين الكفتين ، وعلمت اي هفوة شنيعة ارتكبت فانتحرت .

ثم ينهب الى اضطرارها انطوان ان يظهر امام جنوده وقواده الرومانيين بمظهر المتأفف من روما . ولو كان ذلك — وكما اسلفنا — اما تعتقد وتوافقني لما سكتوا له ، ولا ذاقوه كأس منيته صرفا ، ولو بين ذراعيها البضتين فانت تعلم مامثل الرومان الشهم ليرضوا باهانة وطنهم ، وخيانته امامهم ومن قائدهم الاعلى !

واراد صاحب المصرع ايضا ان « يعصر » انطوان ، كما عصر كليوباترا ، لكنه هنا كان تعصيرا مجازيا ، اذ ارسل جوابا على لسانه ، متمما اهانته السابقة لبلاده : —

بلى وزدت انني مصري ....

ونحن في هذا الموقف نعذره ، اذ نرى انه لم يرد « التمصر » الصريح . ولعل ايراده لهذا القول هو من باب حشو الرواية . وهذا جائز .

* * *

ونكتفي فنقول ان النظرات التحليلية التي ذيلت بها القصة لهي من شر المضحكات المبكيات اذ يظهر بها الاقرار العجيب على تشييد عواطف ومشاعر كليوباترا وعفتها ووطنيتها طبقا لمجرى الشعر لا على الحوادث الراهنة . فما اعجبه تاريخا يكون على الشعر ، لا شعرا يبنى على التاريخ الصريح ! والف رحمة لك ايها التاريخ فليتك لم تكن كي لا تغدو العوبة افكار وغايات اهواء وتخرصات !

ويا ليت شاعرنا تدبر ولم يحكم عواطفه الثائرة في حادثات الاجيال . فما العواطف بالتي يستكن اليها في هذه المسائل ولاسيما وهي وطنية . بل يا ليت شاعرنا اكتفى بنسج بردة فاجعته — كما سبقنا ايضا فاشرنا — من حيث هي قصة لاغير ، يراد بها مجرد الذكرى لا تأييد للتاريخ « وللتأريخ التخيلي » . وليته لم يعد للاذهان ما حدث في اوروبا العام الفائت حين اراد روستان الابن اعادة ذكرى ولد نابليون الثالث ، اذ القى تبعة مقتله على الملكة فكتوريا والحكومة الانجليزية وهي ليست على شيء منه . ولعمري ان لولا تناقضاته غير التعقلية . لما كان ايضا هنالك من اعتراض . ولم يكن لها شيء عدا ما اوردناه في بحثنا في تركيبها وشعرها . وهو ليس بكاسف زهوها وجلالها .

واننا نأمل ان يتحاشى فيما يؤمل بعثه من قصص تمثيلية اخرى — كما بلغنا — مسلكه في المصرع من فسخ ومسخ ابتغاء تأييد قضية زعمتها مخيلته او ابطال اعتقاد رفضته عقيدته ، ففن القصص امر والتأريخ امر آخر . ونحن لا ننكر ان ليس من رواية تمثيلية او قصة مسلية دخلت بين تضاعيفها تاريخيات ، بل نشرت على انها تاريخية لم تشوه حقيقة وقائعها او بعضها ولم يماطل فيها شيئا لا بأس به من حشو ونسخ ولكن لم يكن مؤلفها على الاغلب يريدها هدفا او اداة لاثبات ادعاء وتخرصات بل نشد فيها مجرد الذكرى والعبرة .

اذا . فمعاندتنا له ليست عن طريق القصة بحد ذاتها بل اصد غاياته وتزهاته

المقصودة فيها فمن الحمق والغباوة الاعتراض على عبر ارسلت قصصا مهما نال التاريخ فيها من تشويه وتجريح — ما لم يقصد فيها دعم الباطل — فالمبدأ اذا تقاتل لا الفاجعة ذاتها . ونحن ما كنا لنقف منه وقفتنا هذه الاعتراضية لو لم يفض شوقي ويقر الى احد محرري المجلات بمقصده التحريفي بغية في وطر نظريته ودفاعا عن كليوباترا المضطهدة في عرفه . ثم ما رأيناه ايضا في النظرات التحليلية التي ترمي بكل ما فيها من قوة وعزم وبضاء في تحليل مذهب المؤلف واعذار تذبذباته الكثيرة وتلونه العجيب الذي لا يدانيه تلون الحرباء . . . ولكنها صرخة منه جوفاء في وادي الواقف على مجرى التاريخ !

❀ ❀ ❀

وعليه نختم ان الفاجعة التي اخرجتها لنا قريحة شوقي — بغض النظر عن مراميه — لهي دليل ناطق على نهضة جديدة في عالم الادب العربي ؛ وانها دون منازع ولا محاباة اروع قصة تمثيلية جادت بها قريحة شاعر توا في العربية في نجاة من وطأة غربية . ولهي تقصارة لا لأة في جيد الاداب العربية الناهضة ، بل اروع الرموز في نهضته . واننا نأمل ان تكون فاتحة مباراة بين شعرائنا . ودعوة لهم للجري وراء ارتقاء العربية المطرد ؛ لا وراء السراب الخداع . وزيادتنا مما لا طائل تحته ؛ فتحقق بذلك الآمال الذهبية وحبذا بوادرها في القريب العاجل ؛ وانا لجهودهم بارتقاب !

فإلى الميدان ايها المتنافسون ! . . . الى الميدان المنصف ! . . .

بركات (السودان) ميشيل سليم كميد

الكرباسي

في لغة العرب (٧ : ٨١١) الكرباهي . والصواب : الكرباسي ؛ نسبة الى محلة كرباس ببغداد .

محمد مهدي العلوي

اعتذار

في حاشية ٨ : ٢١٣ سبق قلم بحق الاستاذ المعروف بهجة افندي الاثري . وقد تحققنا ان ليس في كلامه ما يخالف الامانة والثقة وعزة النفس وكذلك ليس فيه سرق اجتهاد مجتهد ولهذا حسن التنبيه عليه .